

القراءة المنهجية

1- حول نشاط القراءة:

يسعى نشاط القراءة إلى تطوير (الكفاية القرائية) لدى المتعلم وإكسابه القدرة على التعلم الذاتي وعلى ممارسة قراءة نشيطة ومتعددة، تقاوم سلبيات القراءة الآلية التي تجعل القراءة عملية فك بسيط للدوال والعلاقات، ولا تساعد على الإلمام بمكونات النصوص.

فتطوير كفاية القراءة لدى المتعلم، ينبغي أن ينطلق من تبني أصول معرفية ومنهجية مغايرة. تنتقل من القراءة المحدودة من إدراك المعنى الحرفي، إلى القراءة التي تمكنه من اكتساب القدرات القرائية اللازمة لفهم النصوص. وهو ما يتطلب تفعيل بيداغوجية، تتجاوز طرق التلقين والإلقاء وتتجنب العوائق التي يمكن أن تؤثر في عمليات القراءة خصوصا في المرحلة الابتدائية والإعدادية، حيث تبدأ ملامح الوعي بالمقروء في التشكل، ويصبح المتعلم قادرا على القراءة السليمة والمعبرة وعلى إدراك المعاني والدلالات، وعلى أخذ المبادرة وإبداء الرأي.

إن تحقيق ذلك، يتطلب تمكين هذا المتعلم من آليات وأدوات تؤهله لممارسة نشاط القراءة، كنشاط استكشافي يرمي إلى البحث عن أفضل سبيل لبناء معنى أو عدة معان يتضمنها النص. وإن تحقيق هذا المسعى، يختلف باختلاف القراء واختلاف أعمارهم ومستوياتهم وثقافتهم وتجاربهم القرائية، وتدفع المتعلم إلى التمرس منهجيا على قراءة النصوص، وفق الخطوات المنهجية الآتية:

1- ملاحظة النص.

2- اقتراح فرضيات القراءة.

3- فحص تلك الفرضيات والتحقق منها.

يتأسس على هذه الأنشطة، أن فعل القراءة يروم ملاحظة العلاقات الواردة في المقروء، وإدراك العلاقات القائمة بينها، وهذه العلامات، لا تكتسب دلالتها إلا إذا توصل القارئ المتعلم مجموعة من الأنشطة الفكرية.

كما أن مواجهة القارئ، المتعلم للنص، انطلاقا من فرضيات، تهيئها له ذاكرته، ستجعل المدرس يحرص على التحقق من صدق هذه الفرضيات، ويفحص صحة منطقتها، ليوجه المتعلم، إما إلى تعزيزها، وإما إلى تعديلها، وإما إلى إلغائها.

ولا شك أن تمرس المتعلم على قراءة النصوص، انطلاقا من استحضار هذه الأنشطة وممارستها، سيدفعه للانتقال إلى أنشطة منهجية أخرى، تسعى في النهاية إلى الإلمام بمكونات النصوص.

تتوخى أنشطة القراءة، بشكل عام، وفي مرحلة الابتدائية والإعدادية تحقيق الكفاية الآتية:

الكفاية الثقافية:

- ❖ اكتساب المتعلم رصيذا معرفيا حول الإنتاج الفكري والثقافي العربي.
- ❖ تعرفه أنساق القيم التي تحكم أشكال التعبير بالعربية، فكريا واجتماعيا وأخلاقيا وجماليا.

الكفاية المنهجية:

- ❖ تنمية مهارات الإدراك البصري والسمعي.
- ❖ تمهير المتعلم على ملاحظة مؤشرات النص وأشكاله، ووضع افتراضات لقراءته.

❖ تمهيده على تغيير السياق اللغوي للنصوص، وتحويله أو تأويله لالتقاط المعنى وإعادة بنائه.

❖ تمهيده على تجزيء عناصر من النص، والبحث عن العلاقات بينها في مستويات صوتية ومعجمية وتركيبية وأسلوبية.

❖ تمهيده على تركيب عناصر النص والتأليف بينها.

❖ تنمية مهارات الحكم والتقويم لديه.

الكفايات التواصلية:

❖ إغناء الرصيد المعجمي للمتعلم، وتوسيع ثروته اللفظية.

❖ جعله مدركا للسياق التواصلية، والشروط المقامية والمقالية لإنتاج الخطاب.

❖ تعريفه بأنماط شكلية، تركيبية وأسلوبية للتعبير والتبليغ في وضعيات تواصلية.

الكفايات الإستراتيجية:

❖ تمهيده على تنظيم الأداءات القرائية في سياقاتها الملائمة.

❖ تدريبه على توظيف إمكانياته المتعددة لقراءة نصوص متنوعة.

❖ إكسابه القدرة على تبني استراتيجيات ناجعة لممارسة الفعل القرائي.

القيم والمواقف الوجدانية:

❖ تشريب المتعلم قيما عربية وإنسانية، ومبادئ اجتماعية وطنية واتجاهات إيجابية نحو محيطه الإنساني والبيئي.

❖ تنمية ذوقه الفني وإحساسه بمواطن الجمال وأنساقه.

2- القراءة المنهجية: إشكالية التعريف

❖ يصعب الظفر بتعريف للقراءة المنهجية، يمكن اعتباره "جامعا مانعا" ... وعليه، فإننا نرتئي أن نقدم تعريف القراءة المنهجية عبر مستويين:

المستوى الأول: ويمكن العثور ضمنه على نمطين للتعريف:

1- وصف القراءة المنهجية.

2- ما تفعله القراءة المنهجية.

- فبخصوص النمط الأول، توصف القراءة المنهجية بأنها:

▪ متمعن فيها، مدعمة بالحجج، مرنة، متنوعة بتنوع النصوص.

- وبالنسبة للنمط الثاني، أي ما تفعله القراءة المنهجية، نجد أنها:

▪ تقوم على الملاحظة الموضوعية والدقيقة.

▪ تهتم بشكل النص ومضمونه.

▪ تسعى إلى بناء المعنى انطلاقا من فرضيات يتأكد من صلاحيتها بعناية.

▪ تسعى إلى تشغيل كل قدرات القارئ.

▪ تسعى إلى تمكينه من أدوات التحليل.

▪ تسعى إلى بناء المعنى بشكل متنام.

▪ لا تؤمن بالفصل بين الشكل والمضمون.

▪ لا تؤمن بثبات المعنى واستقراره المفترض.

▪ لا تخضع لخطية النص وتراتبية المعنى داخله.

▪ لا تتغلق داخل أحكام جمالية قبلية.

المستوى الثاني: تعريف القراءة المنهجية من خلال ما تطمح إليه، وما ترفضه.

أولا : ما تطمح إليه القراءة المنهجية

- الملاحظة الموضوعية والدقيقة لمضمون النص ومكوناته: (معجم، تركيب، دلالة ...)
- الاستكشاف الحذر والصارم لما لا يقوله النص صراحة.
- التأسيس المتنامي للمعنى، انطلاقا من فرضيات، تفحص صلاحيتها بعناية.
- تحليل منظومة الشكل، وإدراك تفاعلها في النص من حيث الائتلاف والاختلاف.
- المعاينة القائمة على التحليل لما يشكل الوحدة المعقدة للنص.
- الابتعاد عن الشكلية المغالية، وتوخي الدقة عوض ذلك.

ثانيا : ما ترفضه القراءة المنهجية

- التفسير التقليدي للنصوص.
- اتخاذ الدارس وضع الناطق باسم الكاتب أو الشاعر.
- نسبة نية قبلية للكاتب.
- التقليد السلبي للنص، والمساييرة الخطية له.
- الفصل بين الشكل والمضمون.
- التفوق داخل أحكام جمالية مسبقة.

وهكذا يتضح أن القراءة المنهجية، ليست طريقة معينة أو خطوات محددة، وثابتة، يمكن حصرها في تعريف مختصر، واضح المعالم، ولكنها مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها، والهادفة إلى اكتساب القارئ نوعا من الاستقلال الممنهج في التعامل مع النصوص، من خلال استعداد وتصور يتبلوران إجرائيا عبر منهجية مرنة ومحكومة أساسا بالتوازن بين (الشكل والمضمون)، (الكل والجزء)، (بداية النص ونهايته)، (نشاط الكاتب ونشاط القارئ)، (الذات والموضوع) ...

3- الأصول النظرية للقراءة المنهجية:

تستمد القراءة المنهجية أصولها النظرية من عدة اتجاهات تتصل بأبعاد لسانية وسيكولوجية وسوسولوجية ونقدية تلتقي جميعها عند بؤرة/محور مفادها أن النص إنتاج وخطاب، ومن أهم أصولها النظرية ما يلي:

لسانيا: تستعين القراءة المنهجية باللسانيات الحديثة في اتجاهاتها الوظيفية، وبخاصة النظريات التواصلية، التي اعتبرت اللغة عملية تواصل تحكمها عناصر الفعل التواصلية، من خلال التبليغ والتلقي، وقنوات الاتصال وسننه ومرجعته، كما تستعين بالتداوليات التي عنيت بنوايا التواصل، وبواعث إنجاز الكلام ومقاصده لدى المرسل والمتلقي، وأغراضه التي عللت إنتاجه.

سيكولوجيا: تمتح القراءة المنهجية أصولها من السيكولوجية اللسانية المعرفية، التي تعتبر القراءة عملية بناء المعنى والدلالة من طرف المرسل والمتلقي. لذلك فإن القارئ لا يدرك النص إلا من خلال شبكة المعلومات التي يتوفر عليها، والتي تلعب دورا في وضع فرضيات، ثم فحصها أثناء القراءة، وهذا يعني أن القارئ كائن فاعل يبني النص، وليس كائنا سلبيًا يستقبل فقط.

سوسولوجيا: تستفيد القراءة المنهجية من السوسولوجيا اللسانية في تحليلها للغة، باعتبارها نتاج تفاعل اجتماعي تحدده أدوار المتخاطبين، والعلاقات بينهم، ونواياهم، وجميع عوامل السياق الخارجي لإنتاج الكلام، ومن ثم لا يمكن النظر إلى النص في معزل عن سياق إنتاجه الاجتماعي.

نقديا: تنهل القراءة المنهجية من الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة ذات المنحى الوظيفي، ولذلك تتعامل مع النص داخل منظور وظيفي، يعتبر فعلا تلفظيا يحكي ثلاثة مستويات رئيسية، وهي:

- النص إنتاج داخل شروط تحدها عوامل السياق والمحيط.
- النص إنتاج ذو وظائف تواصلية من مرسل إلى متلق.
- النص خطاب أي سلسلة من الجمل المتناسقة والمتناغمة الأجزاء والعناصر: معجما وتركيبا وأسلوبا

4- القراءة المنهجية وأفق استثمارها في المرحلة الإعدادية:

تأسيسا على ما تقدم، من تأطير لنشاط القراءة وأهدافها، وتعرف بمفهوم القراءة المنهجية وأصولها، يمكن طرح الأسئلة التالية:

- كيف يمكن استثمار القراءة المنهجية بشكل جيد في مرحلة الإعدادي، لتطوير كفاية القراءة لدى المتعلمين؟

- ما هي المعايير والمفاصل التي يمكن بمقتضاها تنظيم عمليات القراءة في هذه المرحلة بالتصريف الواعي لما تطمح إليه القراءة المنهجية ولما ترفضه؟

لا شك أن الإجابة عن هذين السؤالين، تتطلب كثيرا من الجهد من الأطراف المعنية بتحديد سبل تدريس القراءة، وما نقدمه في هذه الورقة من ضوابط ومحددات، لا يشكل إلا جزءا يسيرا، يسمح استثماره بتطوير البنى الذهنية للمتعلم وتوسيع رؤيته للعالم وحفزه على الاكتشاف والإبداع.

إن القراءة المنهجية كما حددت في السابق، تتموضع في حقل القراءة الشاسع، بما هو حقل يضمن للمتعلم فرصة اكتشاف تعددية المقاربات الممكنة، وإمكانية الاستفادة من أدوات تحليلية مختلفة، تتجاوز مزالق شرح النصوص، كما في التصور التقليدي لتدريس النصوص: حيث الرهان في المقام الأول على الوصول إلى المعنى الوحيد والأوحد، والإجماع عليه إبان الاحتكاك بالنصوص.

وهذا التصور التقليدي، يكاد يحتفظ بقوته في الممارسة اليومية لعملية تدريس القراءة بشكل عام، حيث ينصرف جهد المدرس، في الغالب الأعم، إلى شرح النصوص، بالمنظور الذي يستهدف قدسية المعنى، دون التوسع في جنباته، باعتماد آليات تمكن من اختراق الصفات الجاهزة والمتشابهة لمقاربة النصوص.

إن المطلوب، وبناء على هذا المعطى السابق، وفي إطار الانفتاح على تصور جديد لتدريس القراءة، وخصوصا في هذه المرحلة الابتدائية والإعدادية، تشجيع التلاميذ على التفاعل مع النصوص، والدخول معها في حوار نقدي لاكتشاف مجال القراءة الرحب، من خلال توعيتهم بالطرائق المستعملة وبالاختيارات المتبناة، التي تدفعهم تدريجيا إلى تنظيم انطباعاتهم وردود أفعالهم الأولى، انطلاقا من الملاحظة الموضوعية والدقيقة للنصوص ... وصولا في الأخير، وفي مراحل لاحقة، متقدمة من عمر المتعلم الدراسي والقرائي، إلى عملية تأويل المعطيات الكلية التي يقوم عليها الأثر المدروس، بشكل يسمح بترسيخ كفايات قرائية.

وبتفعيل هذا التوجه، فإن القراءة المنهجية ستفتح أفق تعامل التلاميذ مع النصوص، بتجاوز القراءة البسيطة، الآلية التي تكتفي بفك الرموز والدوال، وستؤهلهم (القراءة المنهجية) لاكتشاف أفق القراءة، الفسيح والممتد، من خلال الاستخدام المرن والمعقلن والاستثمار المنظم والمناسب للأدوات (أدوات التحليل) والمفاهيم التي تنتوع بتنوع النصوص، وهي تستجيب لطبيعتها وخصوصياتها. ذلك أن القراءة المنهجية تضمن لكل نوع من أنواع الخطاب أو النصوص، الأدوات الملائمة والمناسبة في التحليل، بعيدا عن اقتراح وصفة ناجزة ووحيدة للمقاربة، وهذا هو سر قوتها وحيوتها ...

إلا أن الاستثمار المطلوب في مرحلة معينة من مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي يقتضي أن يتمشى والإمكانات التي يتوفر عليها المتعلم ويواكب الاستعداد الذي يبديه، ليتدرب تدريجياً على التمتع بنوع من الاستقلالية المنهجية في التعامل مع النصوص، بدءاً من الإجابة عن أسئلة صغرى، مثل: ما مضمون النص؟ من يتكلم؟ من هو المتلقي؟ أين؟ متى؟ لماذا؟ ... وصولاً إلى تجاوز ضوابط الإقراء، بغرض معانقة النصوص، بما تتيحه من لذة.

إن الوعي بخطوات القراءة المنهجية وباختياراتها ومقتضياتها لا يتأتى إلا عبر ممارسة واحتكاك مطلوبين بالنصوص، لصقل هذا الوعي وتعميقه، وتنميته عملياً وإجرائياً لدى المتعلمين ... وينبغي أن يتمجد هذا الوعي، ويتمظهر في صلب العمليات القرائية والخطوات التي يوظفها المدرس، لإثارة أنشطة التلاميذ من أجل فهمهم للنصوص وتحليلها، وفق آلية تراعي مكتسباتهم المعرفية والمنهجية، وفق مسار تعليمي يتدرج بهم في الانتقال من استضمار المهارات الدنيا (البيسطة) إلى استيعاب المهارات الكبرى (المركبة). إن المطلوب، وفي نهاية المطاف، وفي المرحلة الابتدائية والإعدادية من التعليم الثانوي، تدريب التلاميذ على تقنيات القراءة المنهجية في مستوياتها الأولى، استشرافاً لآفاق التحكم فيها، في المرحلة التأهيلية.

مصادر الشق النظري:

- 1-Lire méthodiquement des textes. Coordination Michel Descotes. Ed. Bernard Lacoste 1995.
- 2- La lecture méthodique (2) perfectionnement. Hélène Sabbah-Hatier-Paris Avril 1992.
- 3- Lecture méthyodique-revueM le français aujourd'hui Juin 1990.
- 4- محمد البرهمي -ديداكتيك النصوص القرائية- دار الثقافة - ط (1) 1998.
- 5- محمد الداوي -دينامية الإقراء- فضاءات مستقبلية - ط (1) 1996.
- 6- محمد حمود -مكونات القراءة المنهجية للنصوص- دار الثقافة - ط (1) 1998.
- 7- القراءة المنهجية للنصوص "مقاربة نظرية وصفية" -ورقة من إنجاز: عبد الله مناني / التهامي شهبي (منسقية اللغة العربية) أكاديمية جهة الرباط سلا زمور زعير.
- 8- منهاج اللغة العربية بالتعليم الثانوي -وزارة التربية الوطنية- 1996.
- 9- المفيد في اللغة العربية -دليل الأستاذ (السنة 1 من التعليم الثانوي الإعدادي) -دار الثقافة - ط (1) 2003.